باكستان

١ — حقائق عامة

تبلغ مساحة الهند ١٫٥٧٢٫٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها وفقاً لاحصاء عام ١٩٤١ — ٣٨٨٫٩٩٧٫٩٥٥ نسمة يؤلفون خمس سكان العالم . ويتكوّن السكان من عدد هائل من الأجناس والديانات المختلفة .

وفيما يلي التوزيع الطائفي لسكان الهند وفقاً لذلك الاحصاء

الطائفة	العدد	النسبة المئوية من المجموع
الهندوس (عدا المنبوذين)	٢٠٦٫١١٧٫٣٢٦	٥٣٫٠
المنبوذون	٤٨٫٨١٣٫١٨٠	١٢٫٥
	٢٥٤٫٩٣٠٫٥٠٦	٦٥٫٥
المسلمون	٩٤٫٣٨٩٫٤٢٨	٢٤٫٣
مسيحيون	٦٫٠٤٠٫٦٦٥	١٫٦
السيخ	٥٫٦٩١٫٤٤٧	١٫٥
طوائف أخرى	٢٧٫٩٤٥٫٩٠٩	٧٫١
	٣٨٨٫٩٩٧٫٩٥٥	١٠٠

وينتشر الاسلام في كافة أنحاء الهند بنسب مختلفة ، على أن أعظم نسبة له هي في الشمال الغربي والشمال الشرقي للبلاد . فعلى الحدود الأفغانية الهندية أو خط دوراند كما يدعى ، تجد ولاية الحدود الجديدة التي يقطنها أكثر من مليون وربع مليون نسمة كلهم مسلمون من القبائل الأفغانية مثل الأفريدي والوزيري وهي قبائل قوية الشكيمة عانى منها الانجليز حروباً متصلة بسبب نزوعها الى الاستقلال وأنفتها من الخضوع لأجنبي ، ولا يحكم الانجليز فقط هذه القبائل بل تحكمها مجالسها الخاصة وزعماؤها المختارون . وعلى نهر كابول تقع مدينة

بيشاور عاصمة ولاية الحدود الشمالية الغربية وعدد سكانها ثلاثة ملايين ٩١ ٪ منهم مسلمون من الجنس الأفغاني .

أما ولاية البنجاب — وتقع على الضفة الشمالية الغربية لنهر السند — فيبلغ عدد سكانها ٢٨ مليون نسمة فضلاً عن خمسة ملايين نسمة سكان ٤٥ امارة يحكمها أمراء وطنيون وتقع ضمن نطاق الولاية . وولاية البنجاب هي المنتج الرئيسي لقمح والقطن الطويل التيلة في الهند . فيبلغ انتاجها السنوي من القمح ٣٫٥ مليون طن تعادل ٢٥٪ من مجموع محصول الهند منه . وعاصمة الولاية مدينة لاهور وعدد سكانها ٦٧٠ ألف نسمة وتعتبر خامسة مدن الهند في عدد السكان ، وهي مركز صناعي هام ونقطة تلاقي خطوط السكك الحديدية في البنجاب ، وبها الجامعة الوحيدة في الشمال الغربي من الهند . وشرق لاهور تقع مدينة امرتسار وسكانها أربعمائة ألف نسمة وهي المدينة المقدسة للسيخ . وسكان البنجاب بوجه عام متجانسون من ناحية الجنس والعادات . فاللغة الشائعة هي الاوردية وتكتب بحروف عربية وتكثر فيها الكلمات العربية والفارسية ، إلا أن للسيخ لغتهم الخاصة . وغالبية سكان البنجاب مسلمون ونسبتهم الى مجموع السكان ٥٧٫١ ٪ ثم يأتي بعدهم الهندوس ٢٨ ٪ ثم السيخ ونسبتهم ١٤٫٥ ٪

ومن ولايات الحدود الشمالية الغربية والبنجاب وبلوخستان والسند يتكون الشق الشمالي الغربي من الباكستان كما طالبت به الرابطة الاسلامية في مبدأ الأمر ومساحته نصف مليون كيلو متر مربع وعدد سكانه ٣٦ مليون نسمة منهم ٢٢ مليون مسلم ونسبتهم الى مجموع السكان ٦١٫١ ٪ بيد أن ثمة إمارة إسلامية هي كشمير ويحكمها راجا هندوسي في شمال البنجاب ومساحتها مائتا ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها أربعة ملايين ٧٦ ٪ منهم مسلمون

وتقل الأغلبية الاسلامية كلما اتجهنا شرق الهند وجنوبها الى أن نصل الى ولاية البنغال في الشمال الشرقي للهند . وتبلغ مساحة البنغال مائتا ألف كيلو متر مربع ويبلغ عدد سكانها على الستين مليوناً ٥٤ ٪ منهم مسلمون . وتقع البنغال على دلتا نهر الجانج فهي من أخصب بقاع الهند ، وأهم محصولاتها الأرز والجوت ، وعاصمة الولاية مدينة كلكتا وعدد سكانها مليونان فهي أعظم مدن الهند سكاناً وأهمها من الناحية الاقتصادية ، كما أنها من أعظم نقط المواصلات الحديدية وتكاد تتركز فيها صناعة الشاي بيد أن معظم سكانها من الهندوس .

وشرق البنغال تقع ولاية آسام ومساحتها ١٤٢ ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها عشرة ملايين ثلثهم مسلمون . وهذه الولاية أهم مراكز الهند في زراعة الشاي كما أنها تنتج النفط . ومن البنغال وآسام يتألف الشق الشرقي من الباكستان وعدد سكانه ستون مليوناً

٤ر٥١ ٪ منهم مسلمون ومساحته ٣٤٢ ألف كيلو متر مربع .

ولا يفوتنا أن نشير الى إمارة حيدر أباد في وسط الهند وهي أعظم إمارات الهند التي يحكمها أمراء وطنيون . فمساحتها ٢٤٤ ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها يتجاوز الثمانية عشر مليوناً ويحكمها أمير مسلم يلقب بالنظام . بيد أن نسبة المسلمين من سكان الامارة ١٥ ٪ من مجموع السكان في حين أن نسبة الهندوس ٨٤ ٪ . وإمارة حيدر أباد هي الامارة الوحيدة التي لها نظامها النقدي الخاص ، ولقد أعلن أميرها أخيراً رغبته في اعلان استقلالها عن الهندوستان والباكستان على السواء .

* * *

تلك هي بعض الحقائق الاقتصادية والجغرافية عن توزيع المسلمين الاسلامي في الهند رأينا إيراد ذكرها قبل أن نخوض في الحديث في الناحية السياسية لدولة الباكستان .

٢ — القومية الاسلامية في الهند

يبدأ تاريخ الاسلام في الهند في صدر الاسلام حين افتتح العرب المسلمون السند ثم فتح السلطان محمود بن سبكتكين (السلطان محمود الغزنوي) ملتان سنة ١٠٠٥ ميلادية واستمر في فتوحاته حتى عام ١٠٢٥ فافتتح جانباً كبيراً من الهند وأخضع جانباً آخر عن طريق أداء الجزية له . واستمر كثير من خلفائه في الفتوحات حتى أصبحت سيادة السلطان المسلم بدلهي معترفاً بها من كافة سكان الهند وأمرائها . وتقلب سلطان المسلمين بين القوة والضعف فبلغوا غاية قوتهم في عصر بابر (مات عام ١٥٣٠) وأكبر (ومات عام ١٦٠٥) وأورنجزيب (١٦٥٩ — ١٧٠٧) وبعد ذلك ضعفت شوكة دولة المسلمين في الهند حتى قوض الانجليز أركانها عام ١٨٥٧ بعد أن لبثت سيادة الاسلام السياسية أكثر من ثمانمائة وخمسين عاماً فخلعوا السلطان بهادر شاه وولوا الملكة فيكتوريا امبراطورة على الهند .

ولقد كان مركز المسلمين في الهند الشغل الشاغل لكثير من ملوكهم فيها . فانه وإن اعترف امراء الهندوس بسيادة السلطان المسلم في دلهي وارسالهم الجزية إليه ، إلا أن قوتهم السياسية ظلت حائلاً دون انتشار الاسلام بين رعاياهم فضلاً عن ان اضطراب أحوال الهند بتأثير الغزوات المغولية والفارسية المختلفة والفتن الداخلية بين الحكام حدّت تقدم الاسلام الروحي كثيراً .

وكان يروع ملوك الهند الحصينين انقسام بلادهم وتفرق كلمتها فابتكر السلطان أكبر لغة الاوردو وهي مزيج من الفارسية والعربية وبعض لغات الهند كي تحل محل لغات الهند المختلفة واجتذاباً للهندوس ، وعمد الى الغاء الجزية ورحب بهم في الوظائف العامة وتزوج

على المساهمة في ادارة شئون البلاد حتى كان منهم الولاة والوزراء . بيد أن سياسة أكبر وان أفلحت في تهدئة أحوال الهند واشاعة الأمن في ربوعها، الا أنها لم تفلح في استئصال جذور الخلافات بين عناصر الهند المختلفة وفي القضاء على أسباب العداوة والبغضاء الكامنة في النفوس . والواقع أن الطائفية في الهند ليست مجرد دين ولكنها تعني هناك نظاماً يربط أفراد الطائفة الواحدة دينيًا وسياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا . ونجد المجتمع الهندوسي ينقسم عدة طبقات ينفصل بعضها عن بعض وتعتبر الطبقة الأخيرة منها طبقة منبوذة ويلقب أفرادها بالأنجاس .

ومن ثمّ بدت الطائفية في الهند في مظهر فذ . بيد أن حدتها لم تبلغ طوال الحكم الاسلامي بالشدة التي هي عليها الآن . وبعد ثورة ١٨٥٧ وقد ساء المسلمون فيها بالنصيب الأوفر أبعد المسلمون عن وظائف الدولة والمهن الفنية الحرة كالطب والمحاماة وبيعت كثير من أملاكهم فأدى هذا الى تقوية النفوذ الهندوسي في النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وعزز ذلك نفور المسلمين خلال القرن التاسع عشر من المدنية الأوربية فانتفع الهندوس بها .

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر بدأ المجتمع الاسلامي الهندي يفيق من سباته . ففي عام ١٨٧٥ أنشئت كلية عليكرة ثم تتابع انشاء المعاهد العلمية والصحف الاسلامية ، وتقدمت النهضة الاسلامية علميًا واقتصاديًا . وكان طبيعيًا أن تتخذ الحركات السياسية في الهند مظهراً دينيًا . فأقبل الشعراء المسلمون يتغنون بمجد الاسلام وعظمته والكتّاب على انشاء المقالات وتأليف الكتب في تاريخ الاسلام والنظم الاسلامية . وتألفت الجمعيات المختلفة وعلى رأسها « جمعية الخلافة الاسلامية » برئاسة الشقيقين شوكت علي ومحمد علي . وأيدتها جماعة علماء الهند . وكانت تنحو كلها الى نصرة الاسلام وتعتبر مسلمي الهند جزءًا لا يتجزأ من مسلمي بقية العالم الاسلامي وبخاصة مسلمي الشرقين الأوسط والأدنى ، واتخذت الحركات السياسية الاسلامية مظهراً معادياً لبريطانيا بسبب موقفها من تركيا في الحرب العالمية الأولى ، وفي سنة ١٩٢٠ وافقت جمعية الخلافة على برنامج غاندي القاضي بعدم التعاون، وعقب ذلك وافق مؤتمر عقد بمدينة ألله أباد ضم زعماء المسلمين والهندوس على ذلك البرنامج . وعزز هذا التقارب ما فرضته معاهدة سيفر على تركيا (١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠) من شروط فادحة . بيد أن ازالة الخلافة العثمانية قلل كثيراً من حماس جمعية الخلافة . ثم جاء الخلاف بينها وبين غاندي وانقسامها فريقين انضم أحدهما إلى المؤتمر بزعامة مولانا أبو الكلام آزاد ، والثاني ظل على ولائه للجمعية وتبع ذلك الانقسام تجدد المنازعات

الطائفية وضعف فأن جمعية الخلافة خلت محلها الى التعبير عن أماني مسلمي الهند وآرائهم « الرابطة الاسلامية » التي قامت على أسس جديدة تتفق وطبيعة النظام الطائفي في الهند وتهدف الى انشاء وطن اسلامي هندي .

* * *

في سنة ١٩٣٧ انتشرت فكرة الباكستان عن الوطن الاسلامي الهندي ، والكلمة مشتقة من الحروف الأولى للكلمات التالية : بنجاب — أفغان الحدود — كشمير — سند بلوخستان . وفي عامي ١٩٤٠ و ١٩٤١ أصدر مؤتمرا الرابطة بمدينتي لاهور ومدراس على التوالي ، قراراً بأن المسلمين يقاومون كل حل للمسألة الهندية لا يحقق فكرة الباكستان ، ولقد كان تجدد الاضطرابات الطائفية وأخذها شكلاً عنيفاً جداً بعد الحرب الأخيرة ، ماحدا بالحكومة البريطانية الى تقديم مشروع يعترف بتقسيم الهند دولتين : اتحاد الهند والباكستان . وقد قبلت طوائف الهند المختلفة المشروع البريطاني ، وفي ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ تودي بدولتي اتحاد الهند والباكستان وتتخذ الاجراءات الآن لتعيين حدود الدولتين وفصل المصالح المختلفة .

٣ — مشكلات تقسيم الهند

الباكستان دولة ذات شقين : الأول في الشمال الغربي ويشمل حوض نهر السند ، والثاني في الشمال الشرقي ويتضمن دلتا نهر الكانج والبراهما بوترا ، ومتوسط نسبة المسلمين في شقي الباكستان كما طالبت به الرابطة الاسلامية في مبدأ الأمر بـ ٥٦ ٪ من مجموع سكانهما وتشمل (وبفرض ضم كشمير اليها) ٦٦ ٪ من مسلمي الهند

ولما كانت نسبة الأغلبيات غير الاسلامية كبيرة تعوق اكتساب هذه المناطق طابعاً اسلامياً مميزاً فقد روعي فصل المناطق التي تحتوي على أكثرية غير اسلامية كلما أمكنت الأحوال الجغرافية والاقتصادية ذلك . وهذا ما نص عليه مشروع الحكومة البريطانية إذ قضى بتقسيم البنجاب والبنغال بين دولتي القارة الهندية . ويوافق المسلمون على فصل مقاطعة أسيالا حيث يكون المسلمون أغلبية السكان ، وبذلك ترتفع نسبة المسلمين في البنجاب الى ٥٧ر٦٢ ٪ بدلاً من ٥٧ر١ ٪ أما الشق الشمالي الشرقي من الباكستان (أي البنغال وآسام) فيراد فصل مقاطعة بوردان حيث الهندوس الأغلبية الساحقة وبذلك ترتفع الأغلبية الاسلامية في البنغال إلى ٦٥ ٪ بدلاً من ٥٤ ٪

وتبدو مشكلة التقسيم واضحة من البيان الإحصائي التالي :

أولاً — عدد سكان الباكستان (كما طالبت به الرابطة من مبدأ الأمر)

	١٠٧٫٠٠٤٫٧٨٣	نسمة
منهم سكان مسلمون	٥٩٫١٠١٫٢٠٧	»
نسبتهم المئوية	٥٥٫٢٣	٪
المساحة	٣٤٨٫٣٣٧	ميلاً مربعاً

ثانياً — عدد سكان الباكستان (حيث ترجد أغلبية اسلامية مطلقة) .

	٦٨٫٧٧٩٫٩٣٥	
عدد السكان المسلمين منهم	٤٦٫٣٩٥٫٠٣٠	
نسبتهم المئوية	٧١٫٨٢	٪
المساحة	٢٣١٫٦٣١	ميلاً مربعاً

مساحة المناطق المتنازع عليها (شرق البنجاب وغرب البنغال ومعظم آسام)

	١١٦٫٧٠٦	ميلاً مربعاً
عدد سكانها	٣٨٫٢٢٤٫٨٤٨	نسمة
عدد السكان المسلمين منهم	٩٫٧٠٦٫١٧٧ — ٣٩٫٢٥	٪

عدد السكان المسلمين في الهند	٩٤٫٣٨٩٫٤٢٨	نسمة
تضم دولة الباكستان من مسلمي الهند	٩٢	٪
» » (بفرض ضم كشمير)	٥٧	٪

ولقد اعترضت عملية تقسيم البنجاب والبنغال مشكلة المدن الثلاثة العظيمة : لاهور وأمرتسار في البنجاب ، وكلكتا في البنغال . فالمدينتان الأوليان أهم المراكز الحضرية في البنجاب . ولقد تمّ الاتفاق على ترك لاهور للباكستان وضم امرتسار الى هندوستان باعتبارها ذات أهمية حيوية لطائفة السيخ فهي مدينتهم المقدسة . أما كلكتا فهي أعظم مركز تجاري في الهند وأكبر مواتيها ، وهي عاصمة طبيعية لولاية البنغال ومركز صناعة الجوت الذي تتركز زراعته في الباكستان الشرقي . بيد أن الأغلبية الساحقة من سكانها من الهندوس . ولقد تقرر ضمها الى الهندوستان مع ترك ميناء هيتاجونج في آسام للباكستان كما تقرر ضم معظم ولاية آسام الى اتحاد الهند ، وضم مقاطعة سلهيت الى الباكستان .

وستضم دولة الباكستان بشقيها (وبفرض ضم ولاية كشمير اليها) ٥٧ ٪ من مسلمي الهند حسب ، وسيظل أكثر من اربعين مليون مسلم خارجها ، بينما ستضم بين ظهرانيها حوالي الخمسة والعشرين مليوناً من الطوائف الأخرى

ولقد اقترح وقتاً ما نقل السكان من مناطق الى أخرى حلاً للمشكلة ولكن نشأت صعوبات جسيمة في مقدمتها العدد الهائل من السكان الذي تتبادله حركة النقل ، كما أن السكان في المناطق المختلفة قد ألفوا أوضاعاً اقتصادية خاصة ، فمن المستحيل نقل سكان يشتغلون بالصناعة في هندوستان الى مناطق زراعية في باكستان ، أو سكان يعملون في صناعة القطن الى مناطق تصنع للخيش . وهذا ما حدا بالفريقين الى نبذ موضوع تبادل السكان بين الدولتين حلا للمشكلة .

ومن المشاكل التي تقابل عملية التقسيم مسألة فصل المصالح العامة ووسائل المواصلات وبخاصة السكك الحديدية والمسائل الاقتصادية المختلفة مثل نظامي النقد والجمارك ومن الجدير بالذكر أن الشق الشمالي الغربي من الباكستان ينتج القطن والقمح وغيرهما من المواد الأولية في حين أن مصانع القطن تقع في الهندوستان . ومثل ذلك يقال عن الشق الشرقي من الباكستان الذي ينتج الجوت في حين أن مصانع الخيش تقع في كلكتا .

ويحول دون اتصال شقي الباكستان مملكة نيبال ووقوع ولايتي بيهار والأقاليم المتحدة حيث أكثرية السكان من غير المسلمين . ومن أهداف الباكستان التي صرح بها السيد محمد علي جناح الحصول على ممر يصل بين شقي الباكستان .

ومهما يكن من أمر صعوبات التقسيم فلا يختلف اثنان في أن من ثماره استتباب السلام في ربوع الهند بل آسيا والعالم . فان في الهند أمتين متميزتين في الجنس والدين وفلسفة الحياة والعقلية ، ولقد بسط السيد محمد علي جناح سياسة الباكستان . ومما قاله :

« ينبغي أن تكون العلاقات بين الباكستان والهندوستان ودية وتبادلية وستكون حكومة الباكستان حكومة شعبية ممثلة لجميع العناصر كما ستسعى الى الانضمام الى عضوية الأمم المتحدة » . ورحب في حديث آخر بالتعاون بين باكستان ودول الشرق الأوسط وبخاصة مصر . ولقد كانت مصر أول الدول في الاعتراف بدولتي الباكستان واتحاد الهند وقررت تبادل التمثيل السياسي معهما على أن تنشأ سفارتان ملكيتان في كل من الدولتين .

فؤاد محمد شبل